ولو افتلع عليك العمر في الساعة اختلف اليه هاتف الخاطر ليعطيك الدواء الذي تزعجه به
او يحل عنك بهمته قال ولقد رايت تلميذا من اصحاب شيخنا الصالح تاج العارفين ابي محمد
عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه الله تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده با
قلات فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلات فما اصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر
عليها فقلت يا سيدي وهل الباقلات يعلم بها فقال نعم ولي لوقها الجنة لحظة من خطر انه
لم يعطه ابدا فاذا لم يوجد ت النفس بهذه الجاهدات وقوتلتها بهذه المفاتلات وجعلت على
جميع مالوفاتها الدنية وعاداتها الردية وزال عنها النفور والاستكبار ورضيت لمولاها
بالعبودية والافتقار وتركت اعمالها وصفت احوالها وهذه هي صفتها التي خلقت لاجلها
ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما ابعث سوى هذه لمرضها بعلة من الركون الى هذا العالم لا
دنوها الا بسبب الشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب
سعادتها وغاية شرفها واعادتها فلما تعالجت بانواع علاجها عادت الى الصحة والطبيعة
الاصل والفت العبودية والرضى بها وصارت له صالحة مطمئنة لان يقال لها يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم قال وعلامات
وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان تستوي عنده الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يواجه به من
قبيح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان
الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشياء في المنع والعطاء والعز والذل
قال ابو محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل
وكان به علة البطن فكنت اخدمه واخذ منه الطست طول الليل فغفلت مرة فقال لي نمت
لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله وحكي تعدى
عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت الا في الاسلام الا مرات معدودات كنت
في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكات فيضحك منه الناس وكان يقول لنا رايت وقتا
في معركة الترك علجا فعلت به كذا وكان ياخذ بلحيتي ويمد يده على حلقي هكذا وكره
الناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده احد احقر مني ولا اصغر فسررت بذلك ويوما
اخر كنت جالسا فجاء انسان وصفعني من غير سبب ويوما اخر كنت جالسا فجاء انسان
وبال علي وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي اصحابه وفي
جمعهم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جزء من السقف في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب
والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له اخلاق ما تامرنا به فقال ما حمدت الله مشامتة لموته
بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته في هذا او اشباهه معلوم من احوالهم ضرورة وابلغ من هذا كله
محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا تشوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة
زوال النفوس من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا زوال
وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما

قال

قال الشاعر:
لك الامر طوعا والانام عبيده ... فعش كل يوم في زمانك عيده

وقال السيد ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ... ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيك وطنبت ... على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ... وزال عن القلب المعنى غرامه

وانشدوا في معناه ايضا

قولي لامالي الالف بعدي ... فقد انجز الاحباب لي موعدي
وقد كنت قبل اليوم مستانسا ... منك بجل متنعم مسعد
وان نسيم الوصل من نحوهم ... هب فليس عندي طال فرقدي
وحيث لاحت الي اعلامهم ... فليس لي فقر الى مرشدي

فان لم يجد في نفسه هذه العلامات فليستمر على سلوكه ومجاهدته ولا يغتر بما يتراءى
له من سني حالته فان لم يصل بعد ولم يحصل له من هواه نفسه فقد وليس طريق مؤمنا التعبد
بقطع جميع المرفقات عنها وردها الى الاجتزاء بالحشيش والنخالة والمبالغة في
التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهمته وقصوده وارادته وترك
الالتفات الى ما يحرسها وما ينمو فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا الوجه من الناس
عملوا عليه في رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اقامة العبودية لربهم فاداهم
ذلك الى اختلال عقولهم وانحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على فائدة وذلك لجهلهم
بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة انتهى كلام الشيخ ابن عباد رضي الله عنه
واما محاسبة النفس على الانفاس فهي الحال الثاني قال الامام الغزالي في الاحياء الكلام
في ذلك في نحو ثلاثين ورقة في كتاب المراقبة والمحاسبة وذلك اثناء الربع الثالث من الكتاب
المذكور فعليك به ان اردت استقصاء المسئلة ولنذكر نبذة
يسيرة من ذلك قال رحمه الله قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه وقال يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الاية فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى
لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب وتحققوا انهم لا ينجيهم من ذلك الا لزوم المحا
سبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات
فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوا
به وحسن منقلبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته فلما انكشف
لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال تعالى يا ايها